الاتجاه الرمزي عند "آرنست كاسيرر" و"سوزان لانجر"

دراسة فلسفية

الأستاذ الدكتور
سامي شهيد مشكور
Dr. Sami 1954@gmail.com

The representational Trend in Ernest Kasper and Suzanne Langer

Prof. Dr.
Sami Shaheed Mashkoor

الملخص:

لقد أنبثق أتجاه جديد يحاول ان يضع حداً للصراع القائم بين أصحاب ألنزعة العلمية ألتحليلية وأصحاب ألاتجاهات ألتقليدية، ذلك عن طريق أستعمال ألرمز في التعبير عن مناطق مختلفة من النشاط ألفكري ألإنساني، كالمنطق، واللغة، والفن، والدين، والأسطورة، وهذا الاتجاه يدين بالفضل ألأكبر في ألتعبير عنه وتأصيله إلى كل من "ارنست كاسيرر" و"سوزان لانجر" وقد وجدنا ان "كاسيرر" يولي أهمية كبرى للرمز وذالك بالنضر الى دوره في كشف أسرار عالم ألانسان وفهمه، ووجدنا أن هناك تأثيرآ واض ل"سوزان لأنجر" بفلسفة لأشكال ألرمزية التي وضع أصولها الفيلسوف "أرنست كاسيرر" حيث تفق "سوزان لانجر" مع "ارنست كاسيرر" في أن الإنسان حيوان رامز وأن الوظيفة الرمزية هي الخاصة المميزة له، وتحتل الموسيقى عند "سوزان لانجر" دورآ بارزآ في تهذيب الذوق ألانساني لما تحمله من لغة رمزيه لا تخلو من معانٍ ودلالات وأنها وضعت الموسيقى في سلم الفنون لما تمتلكه الموسيقى من قدره على التواصل بين الاحاسيس والانفعالات.

الكلمات المفتاحية:- ألرمز، ألاتجاه ألرمزي، ألاشكال ألرمزيه، ارنست كاسير، سوزان لانجر، ألجهاز ألرمزي، ألموسيقى، ألجاز ألرمزي، ألموسيقى، ألرمز الفني.

Abstract:-

In the late are, a new trend has been evolved by Kasper and Langer to settle the dispute between the proponents of the analytic propensity and the traditional trends- that is the representational trend through using symbols to express various facets in the arena of thinking such as logic, language, art, religion and myth. It is viewed that Kasper has paid much attention toward "symbol" as it has a significant role in disclosing the secrets of the man. The study has shown that Langer has been largely influenced by representation figures which have been established by Kasper. Langer seems to be greatly agrees with Kasper, thereby the human being is a representational animal. Additionally, the representational function of human being is the outstanding characteristic through which the whole repercussions seem to evolve from. Moreover, it is displayed that Langer has considered music as the top in the ranking of this school. This is owing to the representational language inherent in the art of music.

Key words:- representation, representational trend, representational figures, Ernest Kasper, Suzanne Langer, representational tool.

المقدمة:

تناولنا في هذه الدراسة الرمزية عند كل من "أرنست كاسيرر، وسوزان لانجر"، إذ أن الرمز هو إبداع إنساني وأنه ماهية ثانية للإنسان إلى جانب النطق، فالإنسان حيوان رامز، وبفضل موهبته في إبداع الرموز خلق عبر سيرورته التاريخية الطويلة حضاراته المتنوعة، فالإنسان وحدة يمتلك من بين كل الكائنات الحية القدرة على النطق وإبداع الرموز والصور الرمزية، ولهذا يمكن القول أن الرمز متأصل بالإنسان، وبسبب تأصل الرمز في شخصية الإنسان بوصفة موروثاً حضارياً ودخوله في الممارسات اليومية الحاضرة وكاد أن يصبح عادة لا يستطيع الإنسان التخلص منها.

ولقد كان هناك تيارين في الفلسفة المعاصرة، فريق ينتمي إلى المدرسة التحليلية وينتمتي إليه أصحاب الوضعية المنطقية، ليرى هؤلاء أن وظيفة الفلسفة تنحصر في التحليل النقدي للتصورات الرئيسية المستخدمة في لغة الحديث الإنساني عادياً كان أم علمياً وذلك بمساعدة الأساليب اللغوية والمنطقية الحديثة، وفريق آخر يرى الحفاظ على المفهوم التقليدي لوظيفة الفلسفة، ويعتقد أصحابه بأن التحليل النقدي رغم أهميته لا بد أن يكون أداة من أدوات الفلسفة وإلى هذا الفريق تنتمي غالبية الفلسفات المعاصرة من وجودية إلى ماركسية وبرغماتية.

وبين هذين الفريقين أنبثق اتجاه جديد يحاول أن يضع حدًا للصراع القائم بين أصحاب النزعة العلمية التحليلية وأصحاب الاتجاهات التقليدية وذلك عن طريق استعمال مفهوم الرموز في التعبير عن مناطق مختلفة من النشاط الفكري الإنساني، كالمنطق واللغة والفن والدين والاسطورة. ويمكننا القول بأن هذا الاتجاه يدين بالفضل الأكبر في التعبير عنه وتأصيله إلى كل من (أرنست كاسيرر)، و(سوزان لانجر)، إضافة إلى أصحاب النزعة البنيوية، لذا أصبح التمثيل الرمزي عند كاسيرر في المحل الأول يمثل عملية أساسية في الوعي الإنساني وهو الذي يوضح لنا كيفية فهمنا للعالم بل وأيضاً للأسطورة والدين واللغة والفن والتاريخ، فالموجود البشري عند كاسيرر قد أصبح خالقاً للرموز ولم يعد مجرد حيوان ناطق وقد سعى (كاسيرر) إلى تأسيس نظريته الخاصة عن الرمز باعتبارها جواباً عن سؤال ما الإنسان؟ إذ حدد عالم الإنسان بالجانب الرمزي الحاضر فيه وميزه عن عالم الأشياء الطبيعية بفضل الرموز؛ لأنّه ما دام الإنسان قد خرج من العالم المادي فإنّه يعيش في

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

عالم رمزي، وما اللغة والاسطورة والفن والدين إلاّ أجزاء من هذا العالم، فهذه الخيوط المتنوعة التي تحاك منها الشبكة الرمزية، وكل التقدم الإنساني في الفكر والتجربة يرهف من هذه الشبكة ويقويها. كذلك تعد سوزان لانجر واحدة من الذين أهتموا بالقدرات الرمزية للإنسان، وبينوا أن الكائنات البشرية قادرة على استعمال الصور والاشكال الرمزية من أجل التعبير عن مشاعرهم وحاجياتهم والتواصل فيما بينهم وتبادل أشياء دالة ومميزة عن بقية الكائنات، وقد شكل استعمال الرموز واستثمار الوظيفة الرمزية مفتاح التطور في الطبيعة البشرية وأعطى مكانة بارزة للأسطورة والفن والعلم وجعلها تحتل مكانة بارزة مع مختلف الابداعات البشرية العليا الأخرى مثل اللغة والتقنية والفلسفة،

ويرى "كاسيرر" أن العالم المادي يتقلص كما تقدمت فعاليات الإنسان الرمزية وبدلاً من أن يتعامل الإنسان مع الأشياء مباشرة نجده يتحدث دائماً مع نفسه، فلقد استغرق نفسه بالأشكال الرمزية والصور والرمزية الاسطورية أو الشعائر الدينية، حتى أصبح لا يرى شيئاً ولا يعرف شيئاً إلاّ عن طريق تلك الوسائط المصطنعة. الواقع الجديد أذن هو وحده موضوع فلسفة الأشكال الرمزية. أنه واقع قائم بذاته، له استقلاله الخاص وموضوعيته المحددة، أنه ليس مجرد محاكاة للواقع المادي بل هو من ذلك بمثابة بعد من أبعاده وعن طريقه وحدة يصبح كل شيء موضوعاً لإدراكنا، هذا الواقع الجديد لا يمكن أن يعد على هذا الأساس جزء من العالم المادي بل أنه يصبح بصفة أساسية منتمياً إلى عالم المعنى، فالواقع كما يراه الرمزيون لا يقتصر على المادي بل يتخطاه ويمتد إلى الشعور والتأمل الباطني كي يتحرر من عوائقه المادية. ويبلغ دلالاته السامية.

ويؤكد في دراسته للأشكال الرمزية وتحليله لسيرورة تكوينها أن أولى مراحل هذه السيرورة تتميز بمحاكاة الأشياء وإعادة إنتاجها فقط، والمرحلة الثانية يتم فيها التحرر نسبياً من الأشياء، حيث لا تكون هناك إعادة لإنتاج الأشياء كما هي وإنما تمثيل بعض خصائصها فحسب، أما في المرحلة الأخيرة فيتم فيها الانتقال إلى الترميز المجرد والخالص.

وأخيرًا جاء البحث مقسماً إلى مقدمة ومبحثين، تناولت في المبحث الأول: الرمزية عند (أرنست كاسيرر) وتناولت في المبحث الثاني: الرمزية عند (سوزان لانجر)، ثم انهيت البحث بخاتمة وقائمة الهوامش ثم تلتها قائمة المصادر والمراجع.

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

التمهيد:

ـ الرمز لغة واصطلاحا:

الرمز لغة: جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا . . .﴾[١].

وورد في التفسير أن الآية هنا هي العلامة أو الإشارة الدالة على الشيء الذي هو هنا البشارة، ولقد سمي القرآن الكريم الرمز كلاماً لأنه يفيد مفاده[٢].

وجاء في القرآن الكريم في قصة مريم قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا . . .﴾[٣]، أن المراد بالقول هنا هو التفهيم بالإشارة، فيسمى التفهيم بالإشارة قولاً.

والرمز في اللغة الأيماء والإشارة والعلامة، وكثير ما نرمز أو نشير إلى أمر ما بحركة عضو من أعضاء الجسم كأنه نلوح بالسبابة إشارة أو رمزًا إلى التهديد، أو كأن نهز بالرأس إلى الأسفل للدلالة على موافقتنا على كلام المتحدث، أو ترفع الرأس إلى الأعلى كإجابة بالرفض على طلب ما، فكانت الإشارة بمثابة الكلام وقامت مقامه، وجاء في لسان العرب لأبن منظور، أن الرمز تصويب فقي باللسان، كالهمس يكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بالصوت إنما هو إشارة بالشفتين[٤]. وقال الراغب الاصفهاني: الرمز إشارة بالشفة أو الصوت الخفي أو الضمر بالحاجب وكل كلام يعبر عنه بالرمز إشارة[٥].

والرمز ما دل على غيره كدلالة المباني المجردة على الأمور الحسية وكدلالة الأعداد على الأشياء ودلالة الحروف على الكميات الجبرية وكدلالة الأمور الحسية على المعاني المتصورة[٦].

- الرمز اصطلاحاً:

والرمز معناه تأويل العقائد أو المذاهب القديمة تأويلاً رمزياً على النحو الذي فعله أفلاطون وبعض فلاسفة العرب في الباس الحقائق الفلسفية ثوباً رمزياً كقصص ابن سينا الرمزية، ومنها مذهب من يقول أن العقل البشري لا يدرك إلاَّ الرموز[٧]، وفعل رمز في اليونانية يعني الجمع في حركة واحدة بين الإشارة والشيء المشار إليه، وكان الرواقيون قد

هيأوا نظرية في تأويل الإشارات على أنها عناصر رمزية تعبر عن حضارة معينة لتفسير كثرة المعاني لتلك الرموز(٨).

وأن أرسطو أول من قسم الرمز إلى ثلاثة مستويات رئيسية، هي: الرمز النظري، والمنطقي: وهو الذي يتجه بواسطة العلاقة الرمزية إلى المعرفة، والرمز العملي: وهو الذي يعني الفعل ثم الرمز الشعري أو الجمالي، ويفهم من تقسيم ارسطو للرمز هذا أنه رد مستوياته إلى المنطق والأخلاق والفن، والرمز أما يدل على المعاني المجردة على الأمور الحسية مثل الأعداد أو يدل بالأمور الحسية على المعاني المتصورة، فالرمز اذن طريقة نعبر بها عن أفكارنا، فإذا كانت مجردة بعيدة عن الحس عبرنا عنها برموز حسية.

ويرى علماء الاجتماع أن منشأ الرموز يرجع إلى بنية نفسية أو نموذج نفسي واحد لدى جميع الشعوب التي عوضت عن نقص التقدم التقني لديها بعجائب خيالية مبالغ فيها ولهذا جاءت الأعمال اليومية والعادات والتقاليد الاجتماعية مثقلة بالرموز المعبرة عن القيم التي تحملها تلك الجماعة(٩).

ويحلل ليفي شتراوس الرمز على أساس بنيوي، فتحليل الرمز لا يبحث عنه في الدلالة المباشرة للكلمات، أي أن الرموز البنيوية تمتنع عن معالجة الكلمات ككيانات مستقلة بل تلجأ إلى تحليل العلاقات بين الكلمات وتعتمد على فقه اللغة، ومن هنا تكتسب قوتها من إمكانية حل المجموعة الرمزية بكاملها، أي تحويلها إلى علاقات دلالية، وهكذا فإن بنيوية شتراوس ترجع إلى الرمز إلى مضمونه الاجتماعي، وإلى مضمونه الدلالي اللغوي(١٠)، ليس المقصود عند "كاسيرر" تفسير الرمز بإرجاعه إلى قوى عاطفية كما يفعل التحليل النفسي أو إرجاعه إلى نموذج اجتماعي كما يفعل علماء الاجتماع، ومسألة الرمز ليست مسألة أساس كما يرى علم الاجتماع والتحليل النفسي، بل المسالة هي التعبير الماثل في الرمز نفسه(١١).

المبحث الأول

الرمزية عند أرنست كاسيير (١٨٧٤-١٩٤٥م)

على الرغم من أن الرمزية قد ارتبطت أساساً بفنون الأدب ومدارسه باعتبارها منهجاً في التعبير ورؤية فنية للواقع إلاَّ أنها قد امتدت إلى مجال الفلسفة أيضاً لتصبح مجالاً من مجالات التفلسف وأداة للتعبير عن فكر الفيلسوف ومحاولة نحو تكوين رؤية شاملة للواقع بل ووسيلة

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

جوهرية نحو اهتمام الواقع ككل وبذلك لم تقتصر الرمزية على الفن بل تعدته إلى العديد من مجالات التفلسف كالعلم والاسطورة والتجربة الدينية والمعرفة التاريخية والميتافيزيقيا.

وإذا كانت الابستمولوجيا التقليدية ابتداءً من "كانت" إلى الكانتية الجديدة قد اكتفت بنقد المعرفة العلمي، فإن "كاسيرر" جعلها تمتد إلى نقد المعرفة الإنسانية أو نقد الحضارة الإنسانية في كل أشكالها من لغة إلى أسطورة إلى فن إلى تاريخ، ولقد كانت المشكلة الرئيسية بالنسبة للفلسفة الكانتية تتمثل في توضيح كيفية تطبيق التصورات على الخبرة الحسية، أما عند "كاسيرر" فلقد استحالت عملية التصور إلى مجرد حالة خاصة مما يطلق عليه الرمزية أو التمثيل الرمزي، فالتمثيل الرمزي عند "كاسيرر" أصبح يمثل عملية أساسية في الوعي الإنساني وهو الذي يوضح لنا كيفية فهمنا للعالم وأيضاً للأسطورة والدين واللغة والفن والتاريخ، فالموجود البشري عند "كاسيرر" قد أصبح خالقاً للرموز ولم يعد مجرد حيوان ناطق. ومن هنا ينبغي أن نعرف الإنسان بأنه "حيوان رامز" يصنع الرموز، فهذا وحده الذ يهيئ لنا فهم الطرق الجديدة المفتوحة أمامه نحو المدينة(١٢).

ويتميز الرمز عند "كاسيرر" بأنه يخلق علاقات أو ارتباطات معينة بين الإشارات الحسية من ناحية والمعاني من ناحية أخرى، فطبيعة الرمز تتمثل في خلق عالم يعلو على الإشارات الحسية ويغلفها به(١٣).

والعالم الرمزي الذي يخلقه الموجود البشري شأنه في ذلك شأن التصورات والمقولات الكانتية، فهو لا يعكس العالم الموضوعي أو يحاكيه بل أنه يخلقه ويكوّنه ويبنيه وينظمه، فالرموز العلمية تنشأ وتخلق عالماً من الموضوعية إلاّ وهو عالم العلم.

وأهم ما أضافه "كاسيرر" لفلسفة "كانت" هو نظرته إلى المعرفة على أنها لا تكشف عن طبيعة الكون وحده بقدر ما تكشف عن طبيعة العقل الإنساني ثم أن المعرفة لا تمثل إلاّ مظهراً من مظاهر نشاط العقل الإنساني، فالعقل الإنساني يقوم بوظائف مختلفة في علاقاته بالبيئة المحيطة به وعمليات الإدراك الإنساني مثلاً لا تتم بغير أن يصطنع العقل لنفسه أدوات وتصورات يدرك من خلالها البيئة الخارجية ومن هذه التصورات اللغة وتصورات المكان والزمان والعدد والعلية والجوهر، ومعنى هذا أن الفكر الإنساني يصطنع لنفسه أدوات هي نظم من الرموز ينظم بها معطيات الخبرة(١٤).

فأي خبرة إنسانية سواء كانت خبرة نظرية علمية أم وجدانية خيالية أو انفعالية سلوكية لا تتم بغير أدوات منظمة يبتدعها الإنسان.

وإذا كان "كاسيرر" قد قدم لنا في مؤلفه الكبير "فلسفة الأشكال الرمزية" عوالم اللغة والأسطورة والعلم، فإننا نجده في كتابه مقال عن الفلسفة والذي يعد عرضاً موجزاً للكتاب الأول الذي يقدم عالمي الفن والتاريخ، وكل من هذين العالمين يقدم لنا نوعية جديدة من المعرفة، فالفن يقدم لنا معرفة بالأشكال الخاصة بالواقع، والتاريخ يقدم لنا معرفة بالأحداث الماضية، ومن هنا أصبحت لنا معرفة، معرّفة اسطورية ومعرفة لغوية ومعرفة جمالية ومعرفة تاريخية، والخلاصة أن فلسفة الأشكال الرمزية عند "أرنست كاسيرر" تقدم لنا نظرية شاملة في المعرفة.

وإذا كانت الفلسفة النقدية عند "كانت" قد عنيت أساساً بنقد العقل العملي، وبالتالي أعتبرت العامل الوحيد الحاسم في تميز الإنسان هو العقل النظري، فإننا نجد الجانب العقلي عند "كاسيرر" لا يمثل كل فعاليات الإنسان ومن ثم فلا يمكن أن نرد إليه كل صورة الحضارة الإنسانية، ولما كان قد انتقل بفلسفته من نقد العقل الخالص عند "كانت" إلى نقد الحضارة، فإنه يترتب على ذلك أن أصبح العقل النظري مهما تعددت وظائفه وتنوعت بمثابة فرع واحد فقط من فروع كثيرة تندرج كلها تحت طابع واحد يميز الإنسان، وهو القدرة على الرمز، ومعنى هذا أنه لم يعد العقل وحدة هو ما يميز الإنسان بل لقد أصبح العقل مصطلحاً ناقصاً لا يمكننا احتواء كل فعاليات وانشطة الموجود البشري وهنا يقول "كاسيرر": (العقل أو النطق اصطلاح ناقص لا يستطيع عن طريقه وحده فهم أشكال الحضارة الإنسانية في تراثها وتنوعها وكل هذه الأشكال رمزية)(١٥).

ويعتبر الرمز في منظور فلسفة الأشكال الرمزية الفيصل بين عالم الإنسان وعالم الحيوان؛ لأنَّ من الخصائص المميزة للإنسان قدرته على الانتقال من المواقف العملية إلى المواقف الرمزية، بناءًا على ذلك يتبين أن "كاسيرر" يولي أهمية كبرى للرمز وذلك بالنظر إلى دوره في كشف أسرار عالم الإنسان وفهمه، فهو بمثابة مفتاح سحري لهذا العالم وثقافته، وحالما يمتلك الإنسان هذا المفتاح السحري فإن تقدمه قدماً أمر مضمون، ومثل هذا التقدم لا يعوقه أي نقص في الحواس ولا يجعله شيئاً مستحيلا(١٦).

وإنّ الرمز يعتبر النقطة المركزية وحجر الزاوية في فلسفة الأشكال الرمزية فهو لا يعتبر

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

موضوعاً للفهم والتأويل فقط، بل أيضاً وسيلة وأداة لهما، وإذا كان غاليلي قد رأى أن كتاب الطبيعة مكتوب بلغة رياضية بحيث لا يمكن قراءته إلاَّ بأدوات رياضية(١٧)، فإن "كاسيرر" يؤكد أن عالم الإنسان كتاب مكتوب بلغة رمزية وقراءته لا تتأتى إلاَّ بامتلاك أدوات رمزية، كما يبين أن بفهم هذا العالم الأنثروبولوجي الرمزي يمكن فهم كيفية تأويل الإنسان للعالم بصفة عامة، وباختصار أن الأشكال الرمزية هي المجالات التي يعيش فيها الإنسان ولا يمكن دراسته وفهمه إلاَّ بأخذها بعين الاعتبار(١٨).

فمنطلق فلسفة الأشكال الرمزية يتمثل في نفي إمكانية تحديد طبيعة الإنسان من منظور جوهري ميتافيزيقي، والتأكيد في المقابل أن القيام بهذا التحديد ينبغي أن يكون من زاوية نظر وظيفية ثقافية، ويبرر "كاسيرر" هذا التعريف الوظيفي الذي يتبناه بكون ما يميز الإنسان هو انتاجاته الثقافية اللغوية والأسطورية والعملية وعلى حد تعبيره: (أن المميز الأكبر للإنسان أي علامته الفارقة ليست هي طبيعة الميتافيزيقية، وإنما هي عمله، وهذا العمل أعني جهاز الفعاليات الإنسانية هو الذي يحدد دائرة الإنسانية ويحتمها وتمثل اللغة والاسطورة والدين والفن والعلم قطاعات متنوعة في هذه الدائرة)(١٩).

وبذلك تظهر قدرة الإنسان على التشكيل وخلق الرموز والوسائط في علاقته بالعالم الذي لا يفهمه إلاَّ عن طريق عمليتي التشكيل والخلق، فالإنسان يتوفر على قوة تكوينية تتمثل في قدرته على انتاج والرموز والدلالات وليس في استنساخ الواقع ومن ثمة لا يمكن فهم الإنسان إلاَّ عن طريق فهم هذه القدرة نفسها. وأن ما يضفي الحياة على العالم ويجعله معبراً وقابلاً للقراءة هو الوظيفة الرمزية التي يتوفر عليها كل شكل رمزي في الثقافة البشرية.

وعلى هذا الأساس بدلاً من أن نعرف الإنسان باعتباره حيواناً عاقلاً فإن علينا أن نعرفه باعتباره حيوانًا رمزياً.

فالإنسان بالنسبة إلى "كاسيرر" حيوانًا رامزًا أو صانعاً للرموز، وليست الرموز البشرية مجرد مجموعة من الدلالات أو العلامات التي تشير إلى بعض المعاني والأفكار أو التصورات بل هي شبكة معقدة من الأشكال أو الصور التي تعبر عن مشاعر الإنسان وأهوائه وانفعالاته وآماله ومعتقداته، وتبعاً لذلك فإن "كاسيرر" يرى أو فطرة الإنسان أوسع من دائرة العقل الخالص، وأن مكانة الفن في مضمار الحضارة البشرية إنما ترجع إلى كونه لغة

من اللغات الرمزية العديدة التي حاول الإنسان اصطناعها في فهمه للعالم[٢٠].

الرمز واللغة والواقع:

وإنَّ الرمز ليس آخذاً عن الواقع وإنما هو نقل عنه ثم تجاوز هذا النقل وتكثيفه لينقي من واقع المادة ويرتفع إلى مجال التجريد وهنا يتحقق الإيحاء بالانفعالات والأفكار عن طريق إعادة إنشائها في العقل وقد ذكر العالم البيولوجي "يوكسل" بأن للإنسان جهازين، الأول منهما يسمى جهاز الاستقبال والثاني جهاز التأثير، ولابد من تعاون الجهازين معاً، ولا يعارض "كاسيرر" تشريح "يوكسل" للجهاز العضوي على هذا النحو، لكنه يضيف إليه جهاز آخر يميز الإنسان عن غيره من الكائنات العضوية ويسميه بـ(الجهاز الرمزي) فيقول: "فكل كائن حي يمتلك جهازين هما، جهاز استقبال يتقبل المؤثرات الخارجية وجهاز تأثير يستجيب لتلك المؤثرات ولا بقاء للكائن الحي إذ لم يتعاون هذا الجهازان ويتوازنا وهما متلاحمان تلاحماً وثيقاً ويشكلان حلقه في سلسلة تسمى الدائرة الوظيفية، والكائنات محكومة بهذه الدائرة الوظيفية، لكن العالم الإنساني نجد فيه مميزًا جديدًا يبدو أنه علامة تفرّق الحياة الإنسانية مما عداها فقد وسع الإنسان الدائرة الوظيفية وأخضعها لتغيير نوعي، فقد أوجد منهجاً جديدًا استطاع أن يكيف نفسه حسب مقتضيات بيئته، فإلى جانب الجهاز المستقبل والجهاز المؤثر نجد لدى الإنسان حلقه ثالثة هي الجهاز الرمزي، وهذه الأداة الجديدة التي يملكها الإنسان تحول الحياة الإنسانية فتجعل الإنسان يعيش في حقيقة أوسع أو في بعد جديد من أبعاد الحقيقة)[٢١].

وتشكل اللغة بوصفها رمزًا راقيًا أهم أركان هذا الجهاز، ونستطيع القول أن الفارق الجوهري بين الإنسان والحيوان هو أن الحيوان بقي عند حدود والانفعال بالصوت المسموع الذي هو إشارة ولم يستطع الوصول إلى جهاز الرمز، بينما استطاع الإنسان أن يحاكي هذا الصوت ويصنع منه رمزًا متطوراً يساعده ليس على الاستجابة والانعكاس الشرطي فقط، بل على الاتصال والتعبير وان يجعل الأصوات المسموعة أصواتاً منطوقه يلفظها ويدل بها على مشاعره وأحاسيسه وعلى أشياء الواقع، وباللغة استطاع الإنسان أو يميز بين الأشياء عن طريق ربطها باسماء محددة وعن طريق انتزاعها من غفلة الطبيعة وفوضويتها وجعلها تحت سيطرة الإنسان، وأصبحت اللغة – الرمز، والمفاهيم المجردة المشتقة منها تشكل شبكة

الرموز التي يهدف الإنسان من خلالها إلى حيازة العالم وامتلاكه نظرياً وعملياً، وأصبحت اللغة والاسطورة والفن هي أجزاء العالم الرمزي، وهي الخيوط المتنوعة التي تحاك منها الشبكة الرمزية، أعني النسيج المعقد للتجارب الإنسانية(٢٢).

والفكر الرمزي هو وحده الذي يقهر القصور الذاتي الطبيعي عند الإنسان ويهبه الاقتدار والقوة التي لا تكف عن إعادة تشكيل عالمه الإنساني وصوغه، وبذلك تقدم المثل أو القيم الإنسانية الخيوط الأساسية في نسيج عالم الإنسان التي ما تلبث أن تتخذ صورة الرمز فتتسلل إلى فعالياته جميعاً(٢٣).

ويقول أن الرموز اللغوية تقودنا إلى تحقيق موضوعية للانطباعات الحسية أما الرموز الأسطورية فإنها تؤدي إلى تحقيق موضوعية للمشاعر الذاتية.

وبالمثل تقوم باقي العوالم الرمزية الأخرى بنفس تلك الوظيفة، وفي هذا المعنى يقول (لا يستطيع الإنسان شيئاً في اللغة والدين والفن والعلم سوى أن يبني عالمه العالم الرمزي الذي يمكنه من أن يفهم التجربة الإنسانية ويفسرها ويفصح عنها وينظمها ويمنحها صبغة كلية)(٢٤).

ومن هنا يتضح لنا أن "كاسيرر" قد وسع من نطاق نظرية المعرفة الكانتيه فجعلها تشمل أيضاً مختلف الأشكال الحضارية الأخرى التي لم يعنِ "كانت" بدراستها من لغة وأسطورة يقول كاسيرر: (أن إدراكاتنا تتسع متى اعتبرنا المعرفة العلمية صورة واحدة فقط من الصور التي يمكن عن طريقها فهم وتفسير الوجود)(٢٥).

فلكل صورة حضارية من لغة إلى فن إلى أسطورة دورها في فهم وتفسير التجربة الإنسانية وتقديم صورة جديدة من صور المعرفة البشرية، ومن هنا تصبح اللغة عند كاسيرر ليست مجرد محاكاة للمضامين والعلاقات التي تكشف عن انطباعاتها الحسية، وإنما تصبح على العكس من ذلك بمثابة اتجاه أساس ومحدد لفاعلية العقل البشري ومجموعة من العمليات العقلية التي ينكشف لنا في ضوئها شكل جديد للواقع(٢٦).

المبحث الثاني

الرمزية عند سوزان لانجر (١٨٩٥-١٩٨٥)

إنَّ الكاتبة الأمريكية ذات الأصول الألمانية "سوزان لانجر" تعد واحدة من اللواتي

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

زينت العقل الفلسفي العالي بكشوفها الرشيقة وتدخلاتها المضيئة في جملة من الحقول والدوائر، وقد اشتهرت بدراستها للأشكال الرمزية التي أوجدها "أرنست كاسيرر" وباهتمامها بمجال الفن والتربية وفلسفة الجمال والآثار الفنية، ولكنها أيضاً تناولت قضايا منطقية وبحوث لغوية وحملت لواء النقد الفلسفي للوضعية المنطقية وانخرطت ضمن مدرسة الكانتيه الجديدة. وإنها واحدة من الذين اهتموا بالقدرات الرمزية للإنسان وبينوا أن الكائنات البشرية قادرة على استعمال الصور والأشكال الرمزية من أجل التعبير عن مشاعرهم وحاجياتهم والتواصل فيما بينهم، وقد شكل استعمال الرموز واستثمار الوظيفة الرمزية مفتاح التطور في الطبيعة البشرية، وأعطى مكانة بارزة للأسطورة والفن والعلم وجعلها تحتل مكانة بارزة بالمقارنة مع مختلف الإبداعات البشرية العليا الأخرى مثل اللغة والتقنية والفلسفة، أن تفكير "سوزان لانجر" في الرمزية يعتبر مواصلة لبحوث "كاسيرر" لكن الاختلاف بينها يكمن في اهتمام "كاسيرر" بالطابع المتعالي للرمز من أجل تجديد الفلسفة الكانتية، بينما تسلم لانجر بذلك وتعتبره مكسباً وتقوم بجعل الترميز نفسه ملكة مميزة للإنسان عن بقية الكائنات، وتقف وراء ميله نحو التعبير عن حسه الجمالي بواسطة اللغة الفنية والإبداع الجمالي وخوض التجربة الإنشائية والافتراضية(٢٧).

وإنّ "سوزان لانجر" تتفق مع "كاسيرر" في أن الإنسان حيوان رامز وأن الوظيفة الرمزية هي الخاصة المميزة له وأنه القوة المصورة الجامعة التي ينبثق عنها مختلف التعبيرات المتعددة حول الأشياء.

وقد حافظت "سوزان لانجر" على أسس فلسفة "كاسيرر" الكانتية الجديدة، فتوسعت في فهم الملكات والمبادئ المنظمة للخبرة الإنسانية سواء كانت في العلم أم في الفن، أم في الدين، وبينت كيف يتجاوز الإنسان باللغة الاستجابة المباشرة للبيئة وكيف يستطيع بفهمه لمعاني الأشياء أن يحيا في عالم من الاتساع أضعاف عالم الحيوان، أنه لا يتعامل مع الأشياء مباشرة بل مع شبكة من الرموز ولغة الإنسان ليست مجرد اتصال بل هي أكثر من ذلك؛ لأنّها تشكل عالم المحسوسات وتقدمه للإنسان في صورة يفهمها(٢٨).

وإذا كان العلم عند "كاسيرر" يمثل بعداً واحداً فقط من أبعاد الواقع، وإن فلسفة الوضعية المنطقية قد اتسمت بهذا البعد وحده، فإن "كاسيرر" قد أدخل البعد الواحد ضمن فلسفة أعم

وأشمل وهي فلسفة الأشكال الرمزية وإننا نجد تلميذته "سوزان لانجر" تدخل الرؤية العلمية المحدودة لفلسفة الوضعية المنطقية في عالم أرحب وأشمل ألاَّ وهو العالم الحضاري فإذا كانت الوضعية المنطقية قد حصرت نفسها في حدود عالم اللغة فإن "سوزان لانجر" تبدأ فلسفتها فتبين لنا أن عالم المعنى أوسع من عالم اللغة ذلك أنه توجد مجالات أخرى خلاف الفكر اللغوي لا يمكن قياسها على أساس المنطق اللغوي وحده كالأحلام والأساطير والفن والميتافيزيقيا، وكل هذه المجالات تعد في رأي "سوزان لانجر" رموزاً حافلة بشتى المعاني خلفتها الطبيعة الإنسانية للتعبير عن بعض الجوانب التي تعجز اللغة عن التعبير عنها(٢٩).

وتقول ولأن كان التعبير الفكري هو أوضح مظهر من مظاهر نشاطنا الذهني؛ إلاَّ أن هذا لا يعني بالضرورة أن تكون "اللغة" هي اداتنا الرمزية الوحيدة، وإذا كان الكثير من رجال الوضعية المنطقية، مثل "كارناب، فيجنشتاين، آير" وغيرهم قد استبعدوا من نطاق علم المعاني شتى التعبيرات الميتافيزيقية والفنية باعتبارها حالات وجدانية تعبر عن الخبرة الذاتية، فإن "سوزان لانجر" على العكس من ذلك ترى إننا نجد في الميتافيزيقيا والفن أموراً رمزية تعبر عن معاني عقليه إلى أبعد حد(٣٠).

وعلى هذا الأساس فلا يحق لنا رفضها على أساس منطق الوضعية المنطقية وهو أن كل مالا يمكن التحقق من صدقه أو كذبه فهو باطل، وإن كلاً من الحلم والاسطورة والفن والميتافيزيقيا له منطقة الخاص الذي يند عن منطق التفكير اللغوي، اللغة إذن قاصرة عن احتواء عالم المعنى بأسره فعالم المعنى أوسع وأكثر رحابة من عالم اللغة وهو يقتضي للتعبير عنه أكثر من شكل رمزي واحد، ولما كان لكل شكل رمزي مجاله الخاص في التعبير عما لا سبيل إلى التعبير عنه بغيره، فمعنى هذا أن الفن والميتافيزيقيا والأساطير لا يمكن أن نعدها مجرد تعبيرات عن مشاعر ذاتية خالصة كما يرى دعاة الوضعية المنطقية(٣١).

وتذهب "سوزان لانجر" إلى القول بأننا عندما نقول أن ثمة شيئاً قد عبر عنه تعبيراً جيداً فلا يعني قولنا هذا بالضرورة إننا نؤمن بالفكرة المعبر عنها، أو نعتقد بصحتها بل أن كل ما نعنيه في هذه الحالة هو أن هذه الفكرة قد أعطيت لتأملنا بوضوح وموضوعية وفي مثل هذه تكمن وظيفة الرموز متمثلة في توحيد الأفكار واستحضارها، وهنا يتضح أن الإشارات إنما تختلف عن الرموز، فالإشارة تفهم متى استخدمت للإشارة إلى الموضوع أو الموقف الذي

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

تدل عليه، أما الرمزية فإنه يفهم متى جعلنا نتصور الفكرة التي يقدمها، فالإشارات ماهي إلاَّ مجرد أداة أو وسيلة لخدمة الفعل بينما الرموز هي بمثابة أداة ذهنية أو مظهر لفعالية العقل البشري، وعندما ينجح الموجود البشري في إيصال فكرته إلى غيره عن طريق الرموز فإنه بذلك يكون قد نجح في التعبير عن هذه الفكرة(٣٢).

وإنَّ حركة الفكر عند الإنسان لا تقتصر فحسب على تسجيل الانطباعات الحسية والربط والتمييز بينها وتذكرها بل بالأحرى تقوم بتحويل هذه الانطباعات إلى رموز مثل الكلمات والأحلام والتخيلات الواعية للأفكار وهكذا يدل التفكير عند "سوزان لانجر" على الترميز وعلى التحويل إلى رموز، وبالتالي من يفكر من يرمز، ويوجد فرق جوهري عند "سوزان لانجر" بين الرموز والعلامات، وإذا كانت الصورة الفنية صورة معبرة فذلك لأنها رموز تشير إلى معانٍ لا مجرد علامات على أشياء أو عوارض خارجة لبعض الحالات النفسية. ومعنى هذا أن التعبير الفني ليس مجرد استجابة تلقائية لموقف حاضر أو لمؤثر واقعي بل هو شكل رمزي" يوسع من دائرة معرفتنا، ويمتد بها إلى ما وراء مجال خبرتنا الواقعية أو دائرة تجربتنا الحالية، و"سوزان لانجر" تقيم تفرقة بين (العلامة)، و (الرمز)(٣٣).

ولكي تحدد "لانجر" تعريفاً جامعاً مانعاً للرمز تضعه في مقابل العلامة وتركز على وظيفته، إن استعمال الرمز هو تمظهر بدائي للذكاء نجده عند الحيوان والإنسان على السواء لكن وظيفة هذه الرموز تختلف بينهما إذ تقوم عند الإنسان بالإشارة إلى الوجود الماضي والحاضر، أو الآتي لموضوع معين أو حدث أو ظاهرة أو وضع ما، ويمكن أو تكون الرموز ذات مصدر طبيعي كشعاع الشمس الذي يرمز إلى طلوع النهار أو ذات مصدر اصطناعي كرمز تنبيه الساعة، أن الرمز وسيلة تعلن بها الذات عن موضوع ما وكيف يتسنى للإنسان بواسطة الرموز معرفة العالم الذي يحيط به والتعبير عنه بواسطة أشكال رمزية، في حين أن العلامة هي نموذج أو تصميم تمثل موضوعاً أو ظاهرة بشيء آخر غير ذاته، ولا تؤدي العلامة دورها إلاَّ إذا سمحت للذات بالتعبير عن تصور مطابق عن الشيء المتمثل(٣٤). وإذا كانت مهمة العلامة هي التعيين فإن مهمة الرمز هي المفهمة، أي إرسال مجموعة من المحمولات الخاصة بالموضوع الذي وقع الإشارة إليه وتعيينه في مجمل القول أن "الرمز هو وسيلة تسمح لنا بتصور المواضيع بالمعنى الواسع للكلمة"(٣٥).

الفن والجمال عند سوزان لانجر:

لقد بينت "لانجر" أن التجربة الفنية والجمالية هي تعبير عن حالاتنا الوجدانية والعاطفية لا يمكن للغة العادية أن تنقلها إلينا بشكل سليم وتحملها بطريقة مقبولة، كما اكدت على أن الفن اتجاه رمزي ومعرفة حدسية بأنماط الحياة وأن الموسيقى خاصة هي شكل فصيح يحوز على مستوى عالٍ من التعبير به، وفي هذا الإطار تنطلق "لانجر" من نظريتها في الرمزية لكي تعرف الموسيقى بأنها رمز استعراضي متكيف بالخصوص مع تمثيل تجارب الحياة الذاتية، أي أن الموسيقى هي الأقدر على إعادة تمثيل تجارب الحياة الداخلية وبالتالي تتفوق على اللغة المفهومية(٣٦).

العمل الفني إذن ينتمي إلى عالم الرمز، وأن الفرق بين الرمز الفني والرمز اللغوي هو أن الرمز الفني لا يشير إلى شيء خارجه وذلك بعكس غيره من الرموز، فالوجدان الذي يعبر عنه العمل الفني لا ينفصل عنه أنه باطن في صميمه، وليس خارجه، هنا نرى أن سوزان لانجر تبين لنا أن الوظيفة الأولى للفن إنما تتمثل في إحالة الوجدان إلى حقيقة موضوعية نتأملها وندركها، فالفن هو وسيلتنا في إضفاء الطابع الموضوعي على رغباتنا وانفعالاتنا وشتى حالاتنا الوجدانية ومن هنا تتضح أهمية الأعمال التشكيلية والموسيقية والروائية والرقص وشتى الأشكال الدرامية في القيام بهذه المهمة(٣٧).

فالعمل الفني حسب "لانجر" إنما هو لغة رمزية تنقل إلينا عياناً مباشراً أو يحمل إلينا تعبيراً حسياً وتحيطنا بحقيقة ذاتية وجدانية. والخاصية الأساسية التي ارتكزت عليها "لانجر" حينما وضعت الموسيقى على رأس سلم الفنون هي خلو هذا الفن الراقي من اللغة الاستطرادية بالمقارنة مع أشكال وصور التعبير الفني الأخرى. وهكذا تتفوق الموسيقى حسب "لانجر" على كل أشكال التعبير الفني الأخرى وتحتل منزلة مميزة في نظام المعرفة الرمزية لدى الإنسان وذلك لأنها ليست ألبته شكلا من أشكال الرمزية الاستطرادية بل هي بالأحرى رمزاً استعراضي والعناصر التي تتكون منها خالية من الرموز الاصطلاحية(٣٨).

أن رمزية الموسيقى تكمن في الشكل الدال واللعب الإيقاعي والصوت الشجن واللحن الممتع والصمت المحرر للخيال، ولذلك يمتلك الشكل الموسيقى القدرة على التواصل بين الأحاسيس والانفعالات ويتحول إلى لغة الجسد وذلك لما توفره من قدرة تعبيرية وحوارية مع الأهواء(٣٩).

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

على هذا النحو ترتكز النظرية الفنية عند "لانجر" على العناصر الرمزية التي تتكون منها الموسيقى وبالتالي يكون الفن شكلاً رمزياً أبدعه الوجدان البشري.

ونجد أن "سوزان لانجر" تكرس صفحات طويلة من كتابها الرئيس لدراسة فن الموسيقى لتكشف لنا عن دلالة هذا الفن، وأنها لا ترى في الموسيقى مجرد منبه يولد بعض الاستجابات الوجدانية، بل هي ترى فيها لغة رمزية لا تخلو من معاني ودلالات(٤٠).

فليس يكفي أن نقول أن الموسيقى هي لغة الانفعالات وإنما يجب أن نضيف إلى ذلك أيضاً أن الموسيقى تمثل عالماً رمزياً خاصاً له استقلاله التام عن عالم اللغة العادية.

و"سوزان لانجر" تضيف في تفسيرها للشكل والصورة في فن الموسيقى بأنها أشكال معبرة عن جانب هام جدًا من الإنسان هو عالم الوجدان الذي تعبر عنه، فالانغام الموسيقية في نموها وصراعها وتوقفها وسرعتها تماثل ما يجري في باطن الإنسان من مشاعر ووجدانات، ويمكن أن تكون الموسيقى بهذا المعنى تجسيدًا لحياة الوجدان وتشكيلاً يرمز لما يجري في باطن الإنسان من انفعالات، ولكنها ليست تعبيراً مباشرًا عن انفعالات الإنسان ووجداناته، وإنما هي تشكيل لتصوراته عن هذه الانفعالات والوجدانات يمكن تأمله ويمكن أن يكون مشتركًا بين الفرد وغيره من أفراد المجتمع، وبذلك ينطوي الفن على قيمة معرفية مصدرها أن الانفعال يتحول إلى موضوع يمكنه فهمه وله تصوراته(٤١).

وتختلف "لانجر" عن فلاسفة التحليل المنطقي حين ترى أن عالم المعنى لا يقتصر على المعرفة العلمية وحدها، بل أن الإنسان يستخدم قدراته العقلية في تصوير ما يخفيه وما يحبه وهو لا يستخدم قدراته العقلية في العلم فقط، بل يستخدمها في تشكيل عالمه الفني وفي تصوراته الأسطورية، لذلك فهي ترى أو للفن دورًا عظيماً في الكشف عن عالم من المعاني، والبناءات التي ينشؤها الإنسان ولا تكون أقل أهمية في الكشف عن حقيقة فكره عن النظم العلمية المختلفة(٤٢).

وتتساءل "سوزان لانجر" وتقول هل كل تجربة إنسانية تخضع للتعبير اللغوي هنا تبين لنا أنه توجد منطقة أو دائرة لا يمكن ترجمتها إلى عالم اللغة وذلك أنها تند بطبيعتها عن العالم اللغوي وهذه الدائرة هي دائرة الحياة الوجدانية بما تتضمنه من انفعالات وعواطف، فالمشاعر والانفعالات لا يمكننا ترجمتها إلى الألفاظ والعبارات، فاللغة بطبعها عاجزة عن

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

التعبير عنها ومن هنا ذهبت "سوزان لانجر" إلى القول بأن اللغة عاجزة بطبيعتها عن تلك المنطقة من أبعاد الوجود الإنساني وهي منطقة الوجدان البشري، ومن هنا تأتي أهمية الفن في التعبير عن ذلك البعد من أبعاد تجربتنا، فالعمل الفني رمز لوجدان وذلك لأنه ينظم تجربتنا الباطنية كما ينظم الكلام أفكارنا عن الأشياء والوقائع(٤٣).

فالفن يشكل ويصور حقائق عالمنا الباطني وما فيه من وجدان وانفعال ومشاعر ويقدمها في رموز ويلعب الخيال الفني الدور الرئيسي في إبداعها، ومما لا شك فيه أو الفن يكشف عن عالمنا الداخلي بقدر ما تكشف اللغة عن عالمنا الخارجي، فاللغة تنظم خبراتنا الحسية وانطباعنا بما حولنا من أشياء، أما الفن فيقوم بتصوير خبرتنا الشعورية بواسطة رموز تمثيلية(٤٤).

وهكذا ترى أن الرسالة التي ينقلها إلينا الفن أعمق من أن تكون مجرد لذة حسية عابرة أو متعة جمالية زائلة ما دام العمل الفني لغة رمزية لا تخلو من معانٍ أو دلالات.

وترى "لانجر" أن جوهر الفن لا ينحصر في عملية التعبير عن الذات وكأن كل مهمة للفنان أن ينقل إلينا بعض مشاعر معينة عاناها في حياته الوجدانية الخاصة، وإنما تنحصر مهمة الفن في التعبير عن بعض المعاني العميقة بطريقة رمزية لا تتأتى لآية وسيلة أخرى من وسائل التعبير(٤٥).

وإن الموسيقى ضربًا من المعرفة غير اللفظية، إذ يقدم لنا العمل الموسيقي نوعاً من الاستبصار الذي يعرفنا كيف تجري الانفعالات ويحيطنا علماً بالمسارات الخفية التي تسري فيها حياتنا العاطفية، ولا شك أن هذه الرمزية الضمنية هي التي تجعل من الموسيقى لغة فنية تعبر عن وجه معين من الحقيقة هيهات للتعبير اللغوي أن ينهض بالكشف عنه، وإذا كان من شان الوعي الاسطوري كما لاحظ "كاسيرر" التوحيد بين الرمز وموضوعه في كل متسق متماسك فربما كان في وسعنا أيضاً أن نقول أن الموسيقى هي أسطورة حياتنا الباطنية وإن كنا هنا بإزاء أسطورة حية فتية حافلة بالمعاني متجددة على الدوام(٤٦).

ولو شئنا الآن أن نلقي نظرة سريعة على فلسفة سوزان لانجر في الفن لكان في وسعنا أن نقول إن هذه الفكرة الممتازة التي كونت فلسفتها الجمالية تحت تأثير فلسفة "كاسيرر" في الأشكال الرمزية، قد استطاعت أن تظهرنا على العلاقة الوثيقة التي تجمع بين الشكل والوجدان، فلم تجعل من الفن مجرد أداة للمتعة الحسية، بل جعلت منه وسيلة رمزية

للمعرفة، وكما أن العلم نشاط ذهني نستطيع بمقتضاه أن نستقدم بعض مضامين العالم إلى مملكة المعرفة الموضوعية، فإن من شأن الفن أيضاً أن يقوم بدور مماثل، وتبعاً لذلك فإن وظيفة الفن في رأي لانجر ليست تزويد المدرك بأية لذة كائنة ما كانت، بل هي إحاطته علماً بشيء لم يعرفه من قبل. لكن تأكيد "لانجر" لدور المعرفة في الفن وحرصها على الربط بين النشاط الفني والفاعلية الرمزية لا يعنيان إنها قد اغفلت تماماً دور (الخيال) في النشاط الفني وإنما كل ما هنالك إنها قد نسبت إلى الفنون قيمة عرفانية مع اعترافها في الوقت نفسه بأن العمل الفني يخاطب الخيال بلغة الأشكال(٤٧).

الخاتمة:

ها نحن نخلص بعد هذا البحث ومن خلال دراسة فلسفة الأشكال الرمزية عند "أرنست كاسيرر" و "سوزان لانجر" إلى النتاج الآتية:

١- ينطلق "كاسيرر" في تفسيره الفلسفي من ثورة "كانط" الكوبرنيكية على مستوى منهج البحث في الأشكال الفلسفية ومعالجتها، وهو لم يغير شيئاً من مفاهيمها الأساسية وخصوصاً مفهوم "الترنستد نتالي" الذي يشير لدى "كانط" إلى كل معرفة تهتم بالمفاهيم أكثر من أهتمامها بالموضوعات في حد ذاتها، ففي نظر "كاسيرر" تتمثل ثورة "كانط" الكوبرنيكية على المستوى المنهجي في كونها لم تسع إلى إعادة إنتاج واقع معطى سلفاً وإنما إلى تحديد ما تدخله الروح في بنية المعرفة، ولذلك يعلن "كاسيرر" أن فلسفة الأشكال الرمزية بدورها تتجاوز التصور المرآوي للمعرفة وتدور في فلك السؤال الترنستدنتالي.

٢- أن استعمال "كاسيرر" للمنهج الترنستدنتالي لا يعني بقاءه عند حدود تكرار ما قاله "كانط" أو كوهن أو ناثورب بكيفية حرفيه، فصاحب فلسفة الأشكال الرمزية يقوم بتوسيع مجال تطبيق ذلك المنهج ليشمل مجالات الثقافة البشرية كلها وليس مجال المعرفة العلمية فحسب، بعبارة أخرى يسعى "كاسيرر" إلى الذهاب بعيداً عن الحدود التقليدية للفلسفة "الكانطية".

٣- حدد "أرنست كاسيرر" عالم الإنسان بالجانب الرمزي الحاضر فيه وميزه عن عالم الأشياء الطبيعية بفضل الرموز لأنه ما دام الإنسان قد خرج من العالم المادي فإنه

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

يعيش في عالم رمزي، وما اللغة والأسطورة والفن والدين إلاَّ أجزاء من هذا العالم.

٤- ذكر العالم البيولوجي "يوكسل" بأن للإنسان جهازين، الأول منهما يسمى جهاز الاستقبال، والثاني جهاز التأثير، لا يعارض "كاسيرر" ذلك لكنه يضيف إليه جهاز آخر يميز الإنسان عن غيره من الكائنات العضوية ويسميه بالجهاز الرمزي، فالإنسان لا يحيا في واقع أكثر اتساعاً من واقع الحيوان فحسب بل يعيش أيضاً في أفق أو بعد جديد من أبعاد الواقع وآفاقه.

٥- يعتبر الرمز من منظور فلسفة الأشكال الرمزية الفيصل بين عالم الإنسان وعالم الحيوان؛ لأن من الخصائص المميزة للإنسان قدرته على الانتقال من المواقف العملية إلى المواقف الرمزية وبناءً على ذلك أن "كاسيرر" يولي أهمية كبرى للرمز وذلك بالنظر إلى دوره في كشف أسرار عالم الإنسان وفهمه.

٦- أن المفكرة الأمريكية المعاصرة (سوزان لانجر)، نلمح في فلسفتها تأثرًا واضحاً بفلسفة الأشكال الرمزية التي وضع أصولها الفيلسوف الألماني الكبير"آرنست كاسيرر".

٧- أن "سوزان لانجر" هي واحدة من الذين أهتموا بالقدرات الرمزية للإنسان وبينوا أن الكائنات البشرية قادرة على استعمال الصور والأشكال الرمزية من اجل التعبير عن مشاعرهم وحاجياتهم والتواصل فيما بينهم وتبادل أشياء دالة ومميزة عن بقية الكائنات.

٨- تتفق "سوزان لانجر" مع "ارنست كاسيرر" في أن الإنسان حيوان رامز وأن الوظيفة الرمزية هي الخاصة المميزة له، وأنه القوة المصورة الجامعة التي ينبثق عنها مختلف التعبيرات المتعددة حول الأشياء.

٩- نجد أن "سوزان لانجر" تتفق مع "آرنست كاسيرر" في أن تدخل الرؤية العلمية المحدودة لفلسفة الوضعية المنطقية في عالم أرحب وأشمل ألاّ وهو العالم الحضاري فإذا كانت الوضعية المنطقية قد حصرت نفسها في حدود عالم اللغة فإن "سوزان لانجر" تبدأ فلسفتها فتبين لنا أن عالم المعنى أوسع من عالم اللغة ذلك أنه توجد مجالات أخرى خلاف الفكر اللغوي لا يمكن قياسها على أساس المنطق اللغوي

وحده، كالاحلام والأساطير والفن والميتافيزيقيا، وكل هذه المجالات تعد في رأي "سوزان لانجر" رموزاً حافلة بشتى المعاني خلفتها الطبيعة الإنسانية للتعبير عن بعض الجوانب التي تعجز اللغة التعبير عنها.

١٠- نرى أن "سوزان لانجر" تكرس صفحات طويلة من كتبها لدراسة فن الموسيقى لتكشف لنا عن دلالة هذا الفن وإنها لا ترى في الموسيقى مجرد منبه يولد بعض الاستجابات الوجدانية، بل هي ترى فيه لغة رمزية لا تخلو من معانٍ ودلالات، فليس يكفي أن نقول أن الموسيقى هي لغة الانفعالات، وإنما يجب أن نضيف إلى ذلك أيضاً أن الموسيقى تمثل عالماً رمزياً خاصاً له استقلاله التام عن عالم اللغة العادية.

١١- إن فلسفتها في الفن التي كوّنتها تحت تأثير فلسفة "كاسيرر" في الأشكال الرمزية استطاعت من خلالها أو تظهرنا على العلاقة الوثيقة التي تجمع بين الشكل والوجدان، فلم تجعل من الفن مجرد أداة من المتعة الحسية بل جعلت منه وسيلة رمزية للمعرفة.

هوامش البحث

(١) سورة آل عمران: ٤١.

(٢) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، بيروت: ٣٠٧/٣-٣٠٩.

(٣) سورة مريم: ٤٢٦.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، مادة رمز: ٣٦٥/٥.

(٥) الاصفهاني، الراغب ابو القاسم، المفردات في غريب القرآن، بيروت، مادة رمز: ٢٠٣.

(٦) صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي: ٦٢٠/١

(٧) صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي: ٦٢١/١

(٨) هزي بيير، الأدب الرمزي، ترجمة نري رغيب، بيروت، ١٩٨١م: ٧.

(٩) مرحباً، عبد الرحمن، قبل أو يتفلسف الإنسان، بيروت، ١٩٥٨م: ٣٧-٤٠.

(١٠) دوران، جيلبير، الخيال الرمزي، ترجمة علي المصري، بيروت، ١٩٩١م: ٥٤-٥٥.

(١١) كاسيرر، آرنست، مدخل إلى فلسفة الحضارة، ترجمة إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٦م: ١٣٩-١٤٢.

(١٢) قنصوة، صلاح، نظرية القيم في الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠١٠م: ١١٠.

(١٣) زياده، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الانماء العربي، ١٩٨٨م: ٦٢٤/٢.

(١٤) مطر، أميرة حلمي، فلسفة الجمال، ١٩٨٤م: ٢٠٣.

(١٥) زيادة، معن، الموسوعة الفلسفة العربية: ٦٢٦/٢. كذا ينظر: الفلسفة الغربية المعاصرة، ط١، مجموعة باحثين تقديم علي حرب، منشورات بيروت، ٢٠١٣م: ١٩٥.

(١٦) الفلسفة الغربية المعاصرة، مجموعة باحثين، تقديم علي حرب: ١٩٦.

(١٧) كيمني، جون، الفيلسوف والعلم، ترجمة الدكتور أمين الشريف، بيروت، ١٩٦٥م: ٦٥.

(١٨) الفلسفة الغربية المعاصرة، مجموعة باحثين: ١٩٧.

(١٩) الفلسفة الغربية المعاصرة، مجموعة باحثين: ١٩٦.

(٢٠) إبراهيم، زكريا، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، بلا: ٢٣٤.

(٢١) ديركي، هيفرو محمد علي، جماليات الرمز الصوفي، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٩م، ٢٨، كذا ينظر: صلاح قنصوه، نظرية القيم في الفكر المعاصر، ص١٠٨.

(٢٢) فنصوه، صلاح، نظرية القيم في الفكر المعاصر: ١٠٩، كذا ينظر هيفرو محمد علي ديركي، جماليات الرمز الصوفي: ٣٠.

(٢٣) المصدر نفسه: ١١١.

(٢٤) الجزيري، مجدي، الفن والمعرفة الجميلة عند "كاسيرر": ٧٩.

(٢٥) المصدر نفسه: ٧٩.

(٢٦) المصدر نفسه: ٨٠.

(٢٧) الفلسفة والنسوية، تأليف مجموعة باحثين، إشراف وتحرير الدكتور علي عبود المحمداوي، منشورات ضفاف لبنان، ط١، ٢٠١٣م: ٣٢٦.

(٢٨) مطر، أميره حلمي، فلسفة الجمال: ٢٠٥.

(٢٩) زياده، معن، الموسوعة العربية: ٦٢٨/٢، كذا ينظر: إبراهيم زكريا، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، القاهرة، ١٩٨٨م: ٢٥٩.

(٣٠) إبراهيم، زكريا، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، القاهرة، ١٩٨٨م: ٢٦٠.

(٣١) الجزيري، مجدي، الفن والمعرفة الجميلة عند كاسيرر: ١٥٩، كذا ينظر: إبراهيم، زكريا، فلسفة الفن في الفكر المعاصر: ٢٥٩.

(٣٢) زيادة، معن، الموسوعة الفلسفة العربية: ٢٦٨/٢.

(٣٣) المصدر نفسه: ٢٦٣.

(٣٤) الفلسفة النسوية، مجموعة باحثين: ٣٢٧-٣٢٨.

(٣٥) المصدر نفسه: ٣٢٨.

(٣٦) المصدر نفسه: ٣٣١.

(٣٧) الجزيري، مجدي، الفن والمعرفة الجميلة عند كاسبرر: ١٦٢.

(٣٨) الفلسفة النسوية، مجموعة باحثين: ٣٣٢.

(٣٩) المصدر نفسه: ٣٣٢.

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

(٤٠) إبراهيم، زكريا، فلسفة الفن: ٢٦٨.
(٤١) مطر، أميره حلمي، فلسفة الجمال: ٢٠٦.
(٤٢) المصدر نفسه: ٢٠٦.
(٤٣) الجزيري، مجدي، الفن والمعرفة الجميلة عند كاسيرر: ١٦١.
(٤٤) مطر، أميرة علي، فلسفة الجمال: ٢٠٨.
(٤٥) إبراهيم، زكريا، فلسفة الفن في الفكر المعاصر: ٢٦٦.
(٤٦) المصدر نفسه: ٢٧٢.
(٤٧) المصدر نفسه: ٢٧٤.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- إبراهيم زكريا، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، القاهرة، ١٩٨٨م.
٢- إبراهيم، زكريا، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، بلا.
٣- ابن منظور، لسان العرب، ج٥، بيروت.
٤-آرنست كاسيرر، مدخل إلى فلسفة الحضارة، ترجمة إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٦م.
٥- الجزيري، مجدي، الفن والمعرفة الجميلة عند كاسيرر.
٦- جيلبير دوران، الخيال الرمزي، ترجمة علي المصري، بيروت، ١٩٩١م.
٧- دوران، جيلبير، الخيال الرمزي، ترجمة علي المصري، بيروت، ١٩٩١م.
٨- ديركي، هيفرو محمد علي، جماليات الرمز الصوفي، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٩م
٩- زياده، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الانماء العربي، ١٩٨٨م
١٠- صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي: ١/ ٦٢٠
١١- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، بيروت.
١٢- الفلسفة الغربية المعاصرة، ط١، مجموعة باحثين تقديم علي حرب، منشورات بيروت، ٢٠١٣م
١٣- الفلسفة والنسوية، تأليف مجموعة باحثين، إشراف وتحرير الدكتور علي عبود المحمداوي، منشورات ضفاف لبنان، ط١، ٢٠١٣م
١٤- قنصوة، صلاح، نظرية القيم في الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠١٠م
١٥- كيمني، جون، الفيلسوف والعلم، ترجمة الدكتور أمين الشريف، بيروت، ١٩٦٥م
١٦- مرحباً، عبد الرحمن، قبل أن يتفلسف الإنسان، بيروت، ١٩٥٨م.
١٧- مطر، أميرة حلمي، فلسفة الجمال، ١٩٨٤م
١٨- هزي بيير، الأدب الرمزي، ترجمة هنري رغيب، بيروت، ١٩٨١م.

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online